

تسمي ابن سينا السابق مع اختلاف التسمية بالنسبة للنوع الأول . ابن سينا يسميه « تصديقا » ، وعبدالقاهر يسميه « عقليا » . أما مدلولهما فواحد تقريبا ، وإن كان عبدالقاهر يعمم هذا النوع من المعاني في الشعر والكتابة والبيان والخطابة ، ويقول إنه يجري فيها مجرى الأدلة التي تستبطنها العقلاء والفوائد التي تثيرها الحكماء . ولذلك نجد الأكثر من هذا الجنس منتزعا من أحاديث النبي ﷺ ، وكلام الصحابة رضي الله عنهم ، ومنقولا من آثار السلف الذين شأنهم الصديق وقصدهم الحق ، أو ترى له أصلا في الأمثال القديمة والحكم المأثورة عند القدماء (٢٤٤) .

أما النوع التخيل فهو الذي لا يمكن أن يقال إنه صدق ، وإن ما أثبتته ثابت ، وما نفاه منفي ، وإنما يتمثل في حسن التأني والتلطف من قِبَل الشاعر لما يعرضه من المعاني ، وأحيانا في الإيهام والمغالطة ، أو على حد تعبير عبدالقاهر « في أنه خداع للعقل وضرب من التزويق » (٢٤٥) حتى تدعن نفس المتلقى لما يقول وتسلم به (٢٤٦) وذلك هو ما ذهب إليه ابن سينا من قبل في معنى « التخيل » . ومرة أخرى يقرن عبدالقاهر الخطابة بالشعر ، ويجعلهما سواء ، لكن الجمع بينهما هذه المرة إنما هو في استخدام « التخيل » ، فهو بعد أن يورد قول القائل :
والصارم المصقول أحسن حالة يوم الوغى من صارم لم يُصقل
ويكشف وجه التخيل فيه ، وأنه التعلق باللون ، وجعله علة للحكم بحسن الشيب ، وتفضيله على الشباب دون تفكير فيما عدا ذلك من المعاني التي يكره بسببها ، ويناط بها العيب - يقول :

« وعلى هذا موضوع الشعر والخطابة أن يجعلوا اجتماع الشيبين في وصف علة لحكم يريدهونه وإن لم يكن في المعقول ومقتضيات العقول . ولا يؤخذ الشاعر بأن يصحح كون ما جعله أصلا وعلة ، كما ادعاه فيما يبرم أو ينقض من قضية ، وأن يأتي على ما صيرره قاعدة وأساسا بينة عقلية بل تُسَلَّم مقدمته التي اعتمدها بينة كتسليمنا أن عائب الشيب لم ينكر منه إلا لونه ، وتناسينا سائر المعاني التي لها

(٢٤٤) انظر أسرار البلاغة طلبة الشيخ رشيد رضا ص ٢١٥ - ٢١٦ .

(٢٤٥) انظر أسرار البلاغة ص ٢٢٣ .

(٢٤٦) انظر ملاح كثيرة من الشعر من هذا النمط في أسرار البلاغة ص ٢١٦ - ٢٥٩ .